جامعة عبد الرحمان ميرة –بجاية-
قسم اللّغة والأدب العربي
المقياس: المسرح العربي
الأستاذة: زكية مهنة المستوى: ماستر1 -أدب-
-حصة تطبيق- -الفوج :3-

الموضوع: المسرح (المفهوم والنشأة)

كان المسرح العربي وليد (الحاجة) ولم يكن وليد (الموروث الثقافي) . فقبل قرن ونصف لم يكن له وجود عند العرب . وعلى الرغم من تطاول الحضارة العربية على مدى أربعة عشر قرناً وعلى مدى قارات العالم القديم الثلاث ، وعلى الرغم من استيعاب العرب لثقافات الشعوب جميعاً وهضمها وتمثلها وإعادة صياغتها فكراً وعلماً وأدباً واقتصاداً ، فإنهم لم يعرفوا المسرح لا لأنهم لم يشاهدوه بل لأنهم لم يحبوه..

نجد من ملامحه أنه (ابن النهضة) . وهو الأعجوبة المدهشة الوحيدة الجديدة المجددة التي لا شبيه لها في كل مفردات عصر النهضة ومفرزاتها. أما بقية مفرداتها فلها سابقات كثيرة في التاريخ العربي . فالاطلاعُ على الفكر الأجنبي وفلسفته وعلومه أمرٌ عادي وقديم في التاريخ العربي . وتلاقُحُ الشعر والنثر بالأجنبي من آداب الأمم عرفه العرب منذ الألوية الأولى للفتح الإسلامي...كما أنه (تقليد) للغرب الذي هو العدو السياسي والصديق الفكري . والمقلِّد مهما أجاد منتَقَص . لكن تقليد المسرح الأجنبي مطلوبٌ فيه إجادةُ التقليد [1].

تعريف المسرح*:

يمثل المسرح أو الفن الدرامي تأليف أدبي مكتوب بالنثر أو الشعر بطريقة حوارية، وهو موجه للقراءة أو العرض. ويستعين المسرح الدرامي بمجموعة من العناصر الأساسية أثناء العرض مثل: الكتابة والإخراج والتأويل والديكور والملابس. وتشتق كلمة دراما من الفعل والصراع والتوتر. وقد يكون المسرح في تاريخه القديم ناتجا عن الرقص والغناء. فهو شكل من أشكال الفنون، ويعتبر أباها، ويجمع المؤرخون والباحثون على أنّ هذا الفن بدأ في بلاد الإغريق (اليونان حالياً) في القرن السادس قبل الميلاد.

يقوم الفن المسرحي بلقاء مباشر بين الممثلين والمتفرجين في زمان ومكان محددين، وفيه قد يكون المكان هو ما يعرف الآن بالركح (خشبة المسرح)، أو في مدرسة، أو في أيّ مكان عام آخر ، وفيه يقوم الممثلون بتجسيد نص أمام المتفرجين من خلال التعبير اللّغوي والجسماني، وبمرافقة المؤثرات الصوتية والضوئية والفنية الأخرى، لتجسيد شخصيات ومواقف النص التي ابتدعها مؤلفه.

وثمة فرق بين المسرح والمسرحية ؛ كالفرق بين العام والخاص ؛ فالمسرح عبارة عن شكل فني عام أحد عناصره النص المسرحي (المسرحية)، وهناك من النقاد من لا يعتبر النص مسرحية إلا بعد تقديمه على الركح (خشبة المسرح) أمام المتفرجين، أو يراه آخرون مخطط أدبي وفني يستخدمه فريق الإخراج مع فريق التمثيل كأساس للعرض المسرحي .

يعتبر العمل المسرحي مقارنة مع العمل التلفزيوني أو السينمائي من أصعبهم أداءً؛ لأنّ أداءه الأساس يكون مباشراً، ولا يمر عبر المونتاج الفني إلاّ إذا تم عرضه ثانية عبر المذياع أو التلفاز .

---

[1] فرحان بلبل، مراجعات في المسرح العربي: منذ النشأة حتى اليوم، اتحاد الكتاب العرب، دمشق: 2001، ص71-72-73.

* لمعلومات أكثر ينظر : جميل حمداوي، تاريخ المسرح العالمي:
https://www.diwanalarab.com/%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE

نشأة المسرح العربي**:

عرف العرب قديماً أشكل مختلفة من الفنّ المسرحي، فكان الخليفة المتوكل أوّل من أدخل الألعاب والموسيقى وفنوناً أخرى إلى قصره؛ فكانت البداية تكمن في استقدام الممثلين من الغرب والشرق ؛ لإقامة الاحتفالات في قصور الخلفاء، وكان العامة يجدون تسليتهم أيضا في القصّاصين الذين يقصون نوادر الأخبار والهزليون الذين كانوا يرفهون الناس ومن أشهرهم " ابن الغزالي ".

كما عرف العرب أيام الخلافة العباسية شكلاً واحداً معترف به كعمل مسرحي ألا وهو "مسرح خيال الظل " الذي كان يعتمد على السخرية والهزلية، وقد استمر تطور هذا الفن في عهد الفاطميين والمماليك وخاصة أثناء المواكب السلطانية، والأعياد، وفي القرن التاسع عشر كان أول عمل مسرحي عربي حديث قد أفتتح في بيروت على مسرح مارون نقاش في العام 1847، وعرضت فيه مسرحية "البخيل" المستوحاة من قصة موليير؛ لتبدأ أولى خطوات المسرح الحديث الذي كان في بداياته يعتمد على الأعمال المترجمة، ثم انتقل إلى العمل المسرحي المؤلف ، والذي تطور خلال القرن العشرين بخطى سريعة حتى وصل إلى مستوي كبير ومحترف.

عناصر العمل المسرحي الحديث :

يتمثل عمل المسرح في خطاب ثنائي أو مزدوج ما بين المكتوب أو المقروء(النص المسرحي) والمعروض أو المشاهد على ما يسمى الركح " خشبة المسرح "، وتتلخص العناصر الأساسية للعمل المسرحي في الآتي :

1/ السينوغرافيا:

تعنى السينوغرافيا أو السينولوجيا (Scénologie) بالديكور وتنظيم الركح (الخشبة الدرامية) مادياً وتقنياً، وتهتم بتأثيثه وتصويره وتزيينه وزخرفته؛ من خلال رؤية سمعية وبصرية متناسقة ومنسجمة؛ لتشكيل رؤيا الإخراج ورؤيا العمل الدرامي المعروض فوق الركح (خشبة المسرح)، وهناك الكثير من التعاريف للسينوغرافيا من بينها :

- هي فن تنسيق الفضاء المسرحي، والتحكم في شكله بهدف تحقيق أهداف العرض المسرحي، الذي يشكل إطاره الذي تجري فيه الأحداث .

- هي فن تصميم مكان العرض المسرحي وصياغته وتنفيذه، ويعتمد التعامل معه على استثمار الصورة والأشكال والأحجام والمواد والألوان والضوء .

- هي فن تشكيل المكان المسرحي ، أو الحيز الذي يضم الكتلة ، والضوء واللون، والفراغ، والحركة (وهي العناصر التي تؤثر وتتأثر بالفعل الدرامي الذي يسهم في صياغة الدلالات المكانية في التشكيل البصري العام .

وبالإجمال هي تصوير للفضاء المسرحي، وتشكيل له عبر تأثيثه بمجموعة من العلامات السمعية والبصرية قصد توضيح معاني النص الدرامي، وتفسير مؤشراته (السيميوطيقية) والمرجعية. وتنصب أيضا على الخلفية التشكيلية الواقعة الركح (خشبة المسرح) وكواليسه وجوانبه وأجنحته، والجزئيات

** ينظر محمد الأسطل، المسرح (نشأته، عناصره، أنواعه)، نادي المسرح، وموقع ديوان العرب. ولمعلومات أكثر ينظر: نهاد صليحة، المسرح عبر الحدود، الأعمال الفكرية، الهيئة المصرية العامة، القاهرة: 2004. وكذلك: سيد علي إسماعيل، تاريخ المسرح في العالم العربي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر: 2012.

الثابتة أو المتحركة فوق الخشبة من قطع وأثاث وإكسسوارات وصالة المسرح التي يتواجد بها الجمهور، ومن مميزات السينوغرافيا الناجحة :

- أن تكون هادفة وتخدم العرض المسرحي والمشاهد على حد سواء.
- أن تكون شاملة ومنفتحة وتوائم المؤثرات السمعية والبصرية والحركية.
- أن تتسم بالجودة الجمالية والفنية .
- أن تكون مشوقة وحارة وممتعة للمشاهد.
- أن تكون مؤثرة وعلى جانب كبير من الدهشة لتشد انتباه المشاهد.
- أن تكون كتابة ثلاثية الأبعاد (عرضا وطولا وعمقا).
- أن تتسم بالرمزية والإيحائية والشاعرية والتناصية.
- أن تكون تجريبية وحداثية ومتسمة بالتناسق الدلالي.
- أن تنبع المشاهد من رغبات الممثل وقناعاته الجمالية والتصويرية.
- أن تستخدم التقنيات الحديثة والرقمية خاصة بما يخدم المؤثرات الفنية.

ومن أنواع السينوغرافيا نجد **السينوغرافيا الكلاسيكية** التي تعتمد على ما هو تزييني ومظهري، وتتسم بفخامة الديكور وكثرة القطع التي تملأ الخشبة، ووجود مجموعة من الإكسسوارات التي يستعين بها الممثلون أثناء أداء أدوارهم التمثيلية، كما أنّها تحاكي الواقع بحرفية مباشرة أو غير مباشرة. ونجد **السينوغرافيا التجريبية** التي تجمع بين تقنيات المسرح الفقير لدى گروتوفسكي و استعمال الأيقونات البصرية السيميائية الموحية الدالة، والاستعانة بالموروث الشعبي واستعمال الرقص والغناء وجسد الممثل (كوليغرافيا) والاستفادة من التشكيل، وكل الفنون البصرية المتعلقة بالرسم والنحت والعمارة والحفر والجرافيك.

وثمة أنواع أخرى من السينوغرافيا حسب مستوى التوظيف؛ مثل سينوغرافيا وظيفية وغير وظيفية، سينوغرافيا جامدة ثابتة، سينوغرافيا متحركة وديناميكية، كما يمكن التصنيف حسب مستوى الوسائل؛ فنجد سينوغرافيا فوتوغرافية، سينوغرافيا رقمية، سينوغرافيا مسرحية، سينوغرافيا كوليغرافية، سينوغرافيا سينمائية، سينوغرافيا إذاعية سينوغرافيا تشكيلية، ومن حيث التأثير نلقي سينوغرافيا ذهنية عقلية، وسينوغرافيا انفعالية وجدانية، وسينوغرافية حسية حركية. ومن حيث ما هو فني وجمالي ؛ فثمة أنواع كثيرة من السينوغرافيا حسب تنوع المدارس والاتجاهات الأدبية والمسرحية، إذ يمكن الحديث عن سينوغرافيا واقعية، وسينوغرافيا طبيعية، وسينوغرافيا بيوميكانيكية، وسينوغرافيا فانطاستيكية، وسينوغرافيا گروتيسكية، وسينوغرافيا شاعرية....الخ، ومن حيث المكونات والعناصر؛ هناك سينوغرافيا الصوت، وسينوغرافيا الموسيقى، وسينوغرافيا الحركة، وسينوغرافيا الجسد، وسينوغرافيا الكلمة، وسينوغرافيا الإضاءة، وسينوغرافيا الألوان، وسينوغرافيا الأشياء، وسينوغرافيا الأزياء، وسينوغرافيا التلقي والصالة، وسينوغرافيا المكان، كما يوجد أنواع أخرى من السيبنوغرافيا في مجالات أخرى كسينوغرافيا المعارض، وسينوغرافيا الرقص الاستعراضي، وسينوغرافيا الكرنفال، وسينوغرافيا الألعاب.

2/ الإخراج المسرحي:

الإخراج المسرحي هو تحويل النص المكتوب إلى عرض مشاهد نابضة بالحياة ، وهو يعتبر كقراءة ثانية أو إعادة صياغة التأليف للنص المسرحي من خلال رؤية فنية تطبيقية، وفكرية يقوم بها

المخرج المسرحي لتوائم عرضه بطريقة تشد المشاهد. والإخراج هو أساس العمل المسرحي برمته، مهمته الأساس نقل المسرحية من المكتوب إلى المعروض، انطلاقاً مما توافق مع السينوغراف أو كاتب المسرحية؛ وعليه يقوم معظم العمل ؛ غير أن هذا النقل يتطلب منه التفاعل مع عدة مساهمين في العمل كالممثلين والمنتج والتقنيين وغيرهم.

يقوم المخرج برسم الخطوط العريضة للإخراج , وإعطاء كل ممثل أو ممثلة دوره حتى يصل إلى الشكل الإخراجي الأولي أو السطحي، ثم يبدأ بالإخراج الأعمق ؛ مشهدا مشهداً وفصلاً فصلاً وهي تعتبر مرحلة أولى، ثم في المرحلة التالية يقوم فيها المخرج بتناول وتدريب وربط عمل الشخصيات الرئيسية والمشاهد الهامة، ثم يقوم بالعمل ذاته بإعداد وتدريب الشخصيات الثانوية والمشاهد الثانوية، بعدها تأتي مرحلة ربط المشاهد لتكوين الفصول ، ثم تأتي مرحلة ربط الفصول ببعضها لتكوين المسرحية أو العمل المسرحي المتجه نحو العرض ،ثم تأتي مرحلة تكوين الديكورات واختيار المؤثرات الفنية من إضاءة وصوتيات وغيرها، تتلوها مرحلة اختيار الملابس السينوغرافية الملائمة.
المرحلة الأخيرة من الإعداد وتسمى " الفيلاج " ويقوم فيها الطاقم المشارك في العرض بتدريباته مرفقا بجميع المؤثرات الفنية والملابس المختارة.

3/ الإنتاج المسرحي:

هي الجهة التي تتولى عملية إنتاج وتبني العمل المسرحي وتتحمل مسؤولية تمويل والقيام بالترويج الملائم له وتحصد في النهاية ريعه وقد تكون شركة خاصة أو مؤسسة عامة أو جهة تابعة للدولة.

4/ الشخصيات أو الممثلون الذين يقومون بالعمل المسرحي:

أ/ ممثلون رئيسيون: يقوم عليهم الحدث المسرحي الرئيسي وتنطبع عليهم القيم الظاهرة والخفية للحدث , وهما إما (كوميديون) يصلون إلى موضوع ما يطلق عليه القيمة أو مأساويين(تراجيديين) لا يصلون إلى موضوع ما يطلق عليه القيمة.

ب/ ممثلون ثانويون: هم الذين يتأثرون بالممثلين الرئيسيين ولا يقوم عليهم الحدث وهم عادة يتغيرون.

ج/ ممثلين سطحيون: هم عادة عابرون لا يتأثرون ولا يؤثرون.

5/ البنية الفنية للمسرحية:

لكل مسرحية بنيتها الفنية المخصوصة، لكن توجد بنية معيار تشمل الاستهلال والوسط والنهاية، وهذه البنية قد تختل، في كثير من الأحيان، كما توضح ذلك بعض المسرحيات التجريبية الحديثة التي لم تعد تؤمن بضرورة ولزوم الخصائص التقليدية للعمل المسرحي، حيث قد نجد، على سبيل المثال، نفياً للعقدة أو النهاية في المسرحية.

6/ الحوار:

هو النقاش الذي يدور بين الممثلين، ويؤدي إلى تنامي الحدث الرئيس و تطور الصراع الدرامي؛ أي نمو اختلاف وجهات النظر بين الممثلين في قضايا محددة، ومنه تنمو القصة حتى نهاية الصراع، وينبغي للحوار استناداً إلى ذلك أن يكون حول قضية متنازع فيها، وذا طابع جدلي برهاني حجاجي، وإلا لما كان حوارا مسرحياً.

7/ الحدث:

يعد شبيهاً بالأحداث اليومية إلا أنّه يفضلها باعتباره يؤدي إلى الصراع الدرامي ضرورةً، وهو الموضوع أو القصة التي تعالجها المسرحية، وتتخللها بطبيعة الحال قِيَمٌ اجتماعية وسياسية وغيرها يريد المخرج والكاتب إيصالها إلى المتفرج، وتختلف القصة بحسب نوع المسرحية، وطبيعة الرؤية إلى العالم.

8/ الصراع (الدرامي):

هو أساس بنية المسرحية الجدلية، ولهذا يسمى العمل المسرحي بالدراما، وينتج الصراع عن طبيعة الحدث وتفاعل الشخصيات في التعامل معه بناءً على الحوار الذي يجمعها، واختلاف وجهات النظر حول الموضوع وتنازع أفكارها ومواقفها، فلا مسرح دون صراع.

9/ الحركة والإنارة:

المسرح قائم على حركة الممثلين داخل الركح، وحركاتها يمكن أن نميز فيها بين حركات الأعضاء، التي تنسجم مع طبيعة الفعل المسرحي والموقف، وحركات الإيماءات؛ حيث يستعمل الجسد الإنساني استعارياً للتعبير عن هذه المواقف المتعددة، وتشير الإنارة إلى طبيعة الحركة وتمييز الموقف والحدث والزمان.

10/ الديكور:

يرتبط الديكور بتأثيث فضاء المسرحية للإيهام بالواقعية، حيث تنسجم طبيعة الركح مع طبيعة الحدث المسرحي والزمان والممثلين، ويُحَالُ إلى الديكور في المسرح المكتوب عن طريق الإرشادات.

11/ الإرشادات:

تتعلق بكل العبارات التي تكون بين قوسين أو مزدوجتين في العمل المسرحي المكتوب، تشير إلى الزمان أو الحركة أو الفضاء؛ وهي بذلك مساعدة للمخرج في نقل المسرحية من الكتابي إلى البصري.

12/ الفضاء والزمان:

لكل مسرحية حيز زمني وحيز فضائي تشير إليه عناصر تأثيث الركح، وتساعد في ذلك الإنارة وطبيعة الديكور والحركة، فالفضاء هو كل مكان دال في المسرحية يُحَيِّزُ أحداثها، كما أنه يؤثر في القيم وفي تحديد الوقائع، ونميز في الفضاء بين الفضاء الطبيعي العادي وفضاء المسرحية، إذا كان هذه الأخيرة تحتاج إلى أفضية تناسب طبيعة الأحداث المعروضة، أما الزمن فهو الذي يسيج الأحداث وقتيا وتكون له علاقة بنفسية الممثلين وطبيعة الأحداث، ويمكن التمييز فيه بين الزمن الفيزيائي العادي، والزمن النفسي، والزمن المسرحي تَبَعًا لطبيعة الحدث.

13/ اللباس و(الأكسسوار):

نميز هنا بين الزيّ واللباس العادي، فالزي له دلالة متعلقة بطبيعة الحدث والزمن والفضاء والرؤية إلى العالم والأشياء، وقد يضاف إلى الزي لمسات وأكسسوارات في علاقتها بالشخصية

والموفق، توضح طبيعة الأحداث والأزمنة التي تَعْبُرُهَا المسرحية وتلوح بالقيم الإيديولوجية التي يريد المخرج أو الكاتب إيصالها إلى المتفرج المتلقي أو القارئ.

14/ المشهد:

يعتبر المشهد مسرحية مصغرة ضمن البنية الكبرى للعمل، والمسرحية هي جماع عدة مشاهد، وكل مشهد بنية مستقلة بذاتها تربطها علاقات متضافرة وطيدة مع جميع المشاهد المكونة للبنية العامة للمسرحية.

15/ الموسيقى التصويرية:

ترتبط بالجينيريك، وبتتبع أحداث المسرحية، إذ يمكن من خلالها التوصل إلى طبيعة الوقائع من حيث سرعتها وقيمتها واختلافها سلبا وإيجابا، كما أنها تساهم في دفع الرتابة عن الحوار المسرحي.

16/ الجينيريك:

يتعلق بتحديد جميع المساهمين في العمل المسرحي، خصوصاً عند الإخراج التلفزيوني، في بداية المسرحية وفي نهايتها، وترفقه موسيقى تصويرية في غالب الأحيان.

17/ التقنيون:

هم جنود الخفاء في العمل المسرحي، منهم المصورون ومهندسو الصورة والصوت والحركة والإنارة والقائمون بأعمال الديكور والأزياء والمكياج والأكسسوار...إلخ.

تتضافر هذه العناصر في بناء العمل المسرحي والتمييز بينها لا يكون إلا إجرائياً وحسب، فلا يمكن للمسرحية أن تكون فقط فضاء أو مشهدا أو حدثا أو غير ذلك، بل هي جماع هذه العناصر التي تعد أساس أبي الفنون برمته، بالرغم من التغيير الذي أصبحنا نعرفه اليوم في هذه الأسس مع مبادرات المسرح التجريبي، ونلاحظ أن المسرح، انطلاقا من هذه العناصر، يستجمع مكونات فنون جميلة متعددة أخرى كالسينما، التشكيل، القصة، الرواية، الشعر ، الموسيقى وغيرها.

إذن المسرح بشكله الحالي وبتقاناته وجمالياته المعاصرة وبشروطه (الخشبة -النص - الممثّل - الإخراج - الأزياء - الديكور - الموسيقى - الصوت- المتلقّي...إلخ) جنس وافد منذ منتصف القرن الماضي، وقد تناولته دراسات مختلفة، أو تناولت أجزاء منه أو موضوعات خاصة، كفنّ التمثيل وفنّ الإخراج والديكور والعرض وزمن العرض واللغة والحوار والشخصية، ويمكن العودة إلى المعاجم المسرحية في هذه الأمور[2].

[2] خليل الموسى، المسرحية في الأدب العربي الحديث، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997، ص3.

النص التطبيقي:

تقول حورية محمد حمو:

تدور مجموعة من التساؤلات حول علاقة العرب بالفنّ المسرحي، ولعل إثارة هذه التساؤلات، تعود إلى عدم وجود أدلة ملموسة في التاريخ العربي، تؤكد وجود علاقة تربط العرب بالمسرح؛ إذ خلا التاريخ العربي، والحضارة العربية التي ازدهرت في العصر العباسي، من نصٍ أو عرضٍ تمثيلي يؤكد معرفة العرب بهذا الفن، كما الحال عند الإغريق، وقدامى الهنود والصينيين.

إلا أن الحضارة العربية تركت مجموعة من الظواهر، وبعض الحكايات، والمواقف المتناثرة في الكتب المتفرقة، وفي أقوال الرواة المتناقلة عبر الأجيال، التي تنبه إليها دارسو المسرح المحدثون، عندما أعادوا قراءة التراث العربي، وهذا أدى بدوره إلى خلق إشكالية تشعبت فيها الآراء، بين مؤيدٍ ونافٍ، إذ انقسم الدارسون والباحثون في علاقة العرب القدماء بالمسرح إلى فريقين: الأول يقول بعدم معرفة العرب للفن المسرحي، والثاني يؤكد تلك المعرفة، ويدفع كل فريقٍ في سبيل ذلك بالعديد من الحجج[3].

المطلوب:

حلّل وناقش مضمون النص، موضحاً رأيك الخاص في القضية المعالجة.

---

[3] حورية محمد حمو، تأصيل المسرح العربي، اتحاد الكتاب العرب،دمشق: 1999، ص10.